المحاضرة رقم: 05

نظريّة التّعبير

في أواسط القرن 18، هيمنت الطبقة البرجوازية التي استطاعت أن تقوم بنهضة صناعية واقتصادية، وهذا بدوره أدّى إلى قيام نهضة فكرية وعلمية اجتماعية وثقافية، إذ أنتقل الناس من الرّيف إلى المدن، واكتظّت المدن بالتجمعات، وتولّدت علاقات اجتماعية واقتصادية، وظهرت فلسفات جديدة وأدب وفن جديدين أيضا، وظهرت الرّوح الفردية والرّوح الدّيمقراطية والمساواة والحريّة، وظهرت المطبعة والصّحف والكتب والمكتبات، وأنتشر التّعليم، وظهر أدب جديد وموضوعات جديدة وثار الشّعراء والأدباء على الزّخرفة اللّفظية كلّ هذا أدّى إلى ظهور نظرية جديدة وهي نظرية التّعبير التي انسجمت مع تلك التغيّرات وارتبطت بالبرجوازية وعبّرت عن قيمها وطموحاتها.

أسسها الفكرية والفلسفية:

أن التغيّرات التي طرأت في أواسط القرن 18 تمحورت حول تمجيد الفردية، فظهرت شعارات في كلّ المجالات فعلى المجال الاقتصادي قيل: "دعه يفعل...دعه يمر" وعلى الصّعيد الأدبي قيل "دعه يعبّر عن ذاته"، فالفرد هو أساس المجتمع البرجوازي الجديد وله كامل الحريّة للتّعبير عن أرائه وانتمائه الفكري وميوله وعواطفه بغضّ النّظر عن انتمائه العائلي، ممّا ساهم في تحرير الفرد من سطوة الإقطاعية المعتمدة على العقل وتحكيم الفرد للعائلة.

وفي هذه الفترة ظهرت الفلسفة "المثالية الذاتية" التي أشادت بالدّيناميكية وقالت بأن: «الوجود الأوّل هو للذّات أو الوعي الإنساني أما العالم الموضوعي فمن خلق هذه الذّات لأن وجوده (وجود العالم الموضوعي) متوقّف على إدراك مدرك له، ودون هذا الإدراك يعدّ العالم الموضوعي غير موجود».

أ.د سعدية بن ستيتي

وعلى هذا الأساس فكلّ ذات تخلق عالما موضوعيا وبذلك يُقدّم الإحساس والعاطفة على العقل والخبرة والتجربة. ويعدّ كلّ من "كانت" (1724-1800) و"هيغل " (1770-1831) منظرين فلسفيين وقد أثّرا كثيرا في الأدباء والنقاد.

اعتبر "كانت" الشّعور هو طريق المعرفة الحقيقية، بينما رأى "هيغل" أن مصدر الفن هو الخبرة الخاصّة، وماهية الفن مظهر حسيّ للحقيقة ومهمّة الفن تعتبر أرفع صور التّعبير البشري عن الحقيقة.

أن العنصر الحسّي يحرّك طاقة الخيال لدى الفنّان، وبعمل الخيال يدرك الفنّان الحقيقة لا كموضوع ولا كفكرة وإنما يدركها كصورة فالفن إدراك خاصّ للحقيقة.

اهتمّت نظرية التّعبير بالأديب الشّاعر أكثر من الأديب السّارد، فالشّخصية أهمّ من الحبكة أو الأحداث (نظرية المحاكاة كانت ترى العكس) والأديب يعيد خلق الحياة من خلال رؤيته الخاصّة والإنسان خيّر بطبيعته.

كما اهتمّ روّاد هذه النّظرية بإظهار قيمة الطّبيعة إلى حدّ تقديسها ومن بين أعلام النّظرية نذكر كلاّ من: "وليم وورد زوورث" (1770-1850) و"صموئيل تيلور كوليردج" (1772-1834).

كتبا معا ديوانا أسمياه (غنائيات) {LAYRACALBALLAD} عام 1798م وظهرت طبعته الثانية عام (1800 م) ويبدأ الديوان بمقدمة تظهر أهم الآراء النّقدية لهما والتّابعة لنظرية التّعبير.

ملاحظات عامة حول نظرية التعبير

1- قوّة العلاقة بين الأدب والسّيرة: الأدب ينبغي أن يدرس وينقد من خلال سيرة الكاتب ونفسيته.

2- قوّة العلاقة بين الأدب وعلم النّفس: بعد ظهور الدّراسات التي ربطت الأدب بعلم النّفس، ربط النّقد بين الإنتاج الأدبي والموهبة الفردية واللاّشعور الفردي والجمعي.

أ.د سعدية بن ستيتي

3- يعتبر "كوليردج" ممهّدا للفرويدية والوجودية فلسفة وأدبا.

وبذلك فأن نظرية التّعبير تمثّل التّمرد على كلّ شيء عكس المحاكاة التي كانت تضع قوانين وأسس يجب اتّباعها.

أ.د سعدية بن ستيتي